بسم الله الرحمن الرحيم (الحركات الإسلامية والفشل السياسي)

أ- عنوان هذا المقال هو عنوان مقالٍ للأستاذ سليمان الضحيان في جريدة الوطن بتاريخ ١٤٢٢/٩/١٠ وفقه الله فيه لوضع يد القارئ على أهم مصادر الفتنة والجراح التي تعاقبت على المسلمين منذ عشرات السنين: وهي الحركات والجماعات والأحزاب الموصوفة - زوراً - بالإسلامية، قال:

١) بأنه (هذه الحركات والأحزاب - بدءاً بجماعة الإخوان المسلمين وانتهاءً بتنظيم القاعدة - جعلت من هذه الأمة حقل تجارب للوصول إلى السلطة باسم الإسلام).

٢) أنها (تبدأ ضعيفة متسترة حتى إذا التفت حولها عدد من الشباب المندفع تسوقه العاطفة والحماس سعت بتروٍّ لتغيير المجتمع بما تسميه الحاكمية والجاهلية والجهاد [والولاء والبراء] ثم ما تلبث أن تخرج من المعركة منتفخة من الجراح، مخلفة وراءها أعداداً من الشباب بين قتيل وأسير وطريد).

٣) أنها تقترف هذه الآثام (في سبيل أحلام وشعارات يلوح بها قادة التنظيم).

٤) أنه لهذه المآسي (تستمر وتتكرر)، ولهذه التجارب الكارثية تنتقل من بلد مسلم إلى آخر).

٥) وهو يقرر (هذه الحالة المرضية المستعصية للفقر المدقع في الفقه السياسي).

٦) وأخيراً يطلب من المفكرين (أن يكونوا على مستوى الأزمة فتطاول أصواتهم علانية أمام المهتمين بهذه الحقيقة).

ب- إنني أحد هؤلاء المفكرين الذين (انفصلت عن جماعة المسلمين باسمها ومنهاجها وأميرها): منير الفضاله من (الإخوان المسلمين) في سوريا (ومقيم بالمملكة المباركة منذ بضعة عقود) للدفاع عن حزبه، فكتبت في جريدة الوطن بتاريخ ١٤٢٢/١١/٢ يقول:

١) (الحركات الإسلامية المعتدلة لم تكفر أحداً).

٢) أنه (لم يسمع حتى هذه اللحظة عن عالم أو مسئول في الحركات الإسلامية المعتدلة قام بتكفير فردٍ أو مجموعة من أبناء هذه الأمة ينتمون للإسلام).

٣) ذكر من أئمة الحركات والأحزاب المعتدلة: (المودودي وسيد قطب ومحمد قطب)، فنبه أنه إنما ينافح عن حزب (الإخوان المسلمين) الذي ينتمي إليه.

ومنير الفضاله (هداني الله وإياه لأقرب مما أنحيه عليه رشداً) معروف بتعصبه لحزبه الإخواني إلى درجة تأليفه كتاب (التحالف السياسي في الإسلام (أثناء فتنة عصاة) يرد به إنكار علماء السنة على حزبه

تحالف مع حزب البعث العراقي، والاشتراكية العربية، والوحدوية الاشتراكية، والقومية، واستدل بحديث نتر منه ما يعضد عمله: «إلا أنه لا حلف في الإسلام»، وأقنع (إخواني عالمي) الإدارة العامة للدعوة في الخارج (السعودية) بتعيينه (منيراً) داعياً في الأردن (وكانه لا يريد له طلب)، وأصر على الارتباط بمؤسسة إخوانية، وعلى منهاج الحزب، وبعد بضعة أشهر خيّبت به منهاج النبوة وتأصيل العمل في الأردن؛ فاختار الثانية، و(اقتنعت) إدارة الدعوة برأي القيادة بنقله إلى العراق للعمل في مراكز الإخوان (التدريبية) للتبرير القوانين أفرادهم وقيادتهم في أحضان البعث العراقي الذي كان أذكى من كثير من دول المسلمين فمنعهم من الخطابة والدروس في المساجد والمدارس؛ فاستقبح صدام بكل الحزب الإخواني واستقبح الحزب ببعضه ما عند صدام.

٥- أوافق سليمان الضحيان في كل مقدماته؛ فالأحزاب مرضية مؤكد المدروي مثل الجرب والجذام، والتحزب باسم الإسلام (انحلال عن جماعة المسلمين) في لفظ الشيخ بكر أبو زيد، وأقر إنه شذت كتابه الفريد (جامع الانتماء إلى الفرق والجماعات والأحزاب الإسلامية) فرحم وغفر ما كتب في بابه (وأنصح وزارات التربية والتعليم بنشره في مؤسساتها) شفاه الله وعافاه وسلط على هلكة الباطل.

والتفرقة (باسم التجمع الإسلامي) معصية كبيرة بنصوص الوحي، وأكثر الفتنة التي ابتلي بها المسلمون منذ عهد عثمان رضي الله عنه نبتت من (الخوارج، الرافضة، القرامطة... الخ)، وفي القرية الأخيرة كانه حزب (الإخوان) بمختلف أسمائه ومظاهره حاضنة كل الحركات السياسية التي عناها الكاتب بمقاله: التحزب، التكفير، الهجرة، الجهاد، القاعدة... الخ.

ولكني أخالف في تشخيص المرض وفي علاجه؛ فأساس المرض (الفقر المدقع في الفقه) الشرعي اليقيني (أما السياسة غير الشرعية التي تلهث وراءها الحركات والفرق والأحزاب الموصوفة بالإسلامية فأمر ظني هينة لكل فيه رأي)، وعلاجه: (أن يكون الفقراء في التدين (كبار العلماء بخاصة) على مستوى المسئولية فتنطلق أصواتهم عالية أمام (الملأ) ليبينوا شرع الله ودينه الحق، فلا تضل الحركيون أو يضل الناس بهم أنهم على الهدى، وأن يكون القائمون على وسائل ومؤسسات الإعلام والتربية والدعوة والأمن (على مستوى المسئولية) فيوقفوا عملية اغتصاب الحركيين لمنابر الإعلام والتربية والدعوة.

٥- لهذا رأى سليمان الضحيان ورأيي في فساد مناهج الحركية والحزبية، ونحن - بفضل الله - أحرار من عبودية مناهجهم وقيود

انتمائهم وبيعتهم المبتدعة، ولكنه بعضهم قادتهم بشاطرنا الرأي:

١) يقول الأستاذ فتحي يكن أحد قادة الحركة الأم (أم المرجالات): (منذ نشأ قرن [الآن نصف قرن] والحركة الإسلامية الحديثة [جماعة الإخوان] تصيبها مخاضات عسيرة تقدم فيها [منها ومن غيرها] الشهيد تلو الشهيد)، والقطع بالشهادة لهم بشهادة الوحي بدعة منكرة، ودليل جهل وانحراف (... وهذا أيضا يكون له مدلول مردود ... بالرغم مما كل هذا لا يزال أسلوب [وغيرها] نفس الأسلوب) وهراء: (ضربات موجعة لا يجوز السكوت عليها) (مشكلات الدعوة والداعية، مقدمة الطبعة الثانية).

٢) ويقول إخواني آخر انفصل عن الحركة الأم [أم المرجالات] بحركة سمّى أفرادها بالسرورية نسبة إلى المؤسس (محمد سرور زين العابدين المهاجر من أرض الشام المباركة إلى أوروبا النصرانية بل العلمانية) في كتابه (قل هو من عند أنفسكم) شهادة على فتنة الإخوان في حماة: (لقد وزعوا المناصب على [قادتهم]، فهذا وزير للداخلية، وذاك للدفاع، والثالث للتربية والتعليم، والرابع للخارجية، والخامس لقيادة الجيش ... وأصبح الجميع يتصرفون مع غيرهم على أساس المناصب الجديدة ... انقشع الغبار عن هزيمة مزعجة ألمّت بهذه الحكومة [الوهمية] وبغيرها من التنظيمات والجماعات ... وأعقبت الهزيمة خلافات وانشقاقات، ولهذه عاقبة كل من يخالف سنن الله الثابتة ... ومن يتابع الأمور لا يجد حرصا من أي طرف على وضع الحق في نصابه وتقويم الاعوجاج، وإنما التنافس على الزعامة وحطام الدنيا هو سبب هذه الخلافات الجديدة منها والقديمة)، بل نشرت إحدى المجلات العالمية خارطة الحزب لسوريا (بعد النصر الخيالي) باسمها الجديد: (دولة الإخوان المسلمين) خيانة للإسلام الذي اعتطاه الحزب لأغراضه في العقود الماضية كلها، وخيانة للحلف الشيطاني (بلغة تشرشل عند تحالفه مع روسيا الشيوعية ضد ألمانيا) بين البعث والاشتراكية والقومية والإخوان.

٣) ويقول أيمن الظواهري الذي رضع من ثدي حزب الإخوان، وبعد الفطام اختار شقة المواجهة في الحزب (ويقف الآن باسم القطبية نسبة إلى السيد قطب) على شقة المسايرة (ويقف الآن باسم البنائية نسبة إلى حسن البنا رحمهما الله) وهو ما يسميه منهج الفضيلة بالمعتدلين)؛ ولكنه الظواهري يبين أنهما وجهان لعملة واحدة: (القيادة الظاهرة - في تركيبة الإخوان كما يمثلها المرشد العام أمام الناس والنظام، أما القيادة الحقيقية فقد كانت في يد مجموعة النظام الخاص) جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٤٠٥ في ٢/١٢/٢٠٠١م عن مذكرات الظواهري؛ أي أنهم يتلونون حسب مصلحة الحزب.

٤) ويؤكد ذلك ابنه آخر للحزب من الرضاعة (محمد سرور زين العابدين في كتابه قل هو من عند أنفسكم عن فتنة الإخوان في حماة): (كانوا

[القادة] ينتقدون هؤلاء الشباب الذين فجّروا هذه المعركة ويصفونهم بالطيش والتهوّر. [فلما] أصبحوا يظنّون أنه النصر قد اقترب غنّوا لهجتهم وادّعوا بأنهم أصحاب الحقّ وأهل الجهاد وجميع الشهداء منهم.
وفي قضية احتلال العراق للكويت كان المرشد العام في مصر يشجب، والقادة المتخفّون في السعودية وسوريا تشكّكوا، والقادة المسلمون في الأردن وفلسطين وغيرها يؤيّدون الاحتلال بالخطب والفتوى والكتب.

هـ - أوافق منير - مرّة واحدة - في أنه (لم يسمع عن عالم في الحركات الإسلامية قام بتكفير فرد أو مجموعة من أبناء هذه الأمة ...) لأسباب:
١) أني لا أحسبه يكذب ويتحرّى الكذب، وإنما أغشى بصره وختم على سمعه وقلبه التعصّب لحزبه (ففيه الرضا وأذم الرضا عن كل عيب كليلة).
٢) أنّ لا يوجد عالم واحد بشرع الله في جميع الحركات والجماعات والأحزاب والفرق، ولا لا ما قبل أنه يتحزّب ويتفرّق عن الجماعة الواحدة التي لا تتعدّد وسمّاها الله: (المسلمين)، وألزم منهجاً واحداً (الكتاب والسنة)، وأمرها بالتأسّي بواحدٍ من البشر يُوحى إليه (صلى الله عليه وسلم)، ونهاها عن التفرّق شيعاً (كل حزب بما لديهم فرحون).
٣) ظنّي أنه لا يعرف أحكام التكفير ولا حدوده ولا ألفاظه.
و- اختلف العلماء منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم في تقسيم الكفر والتكفير إلى اعتقادي وعملي، وأكبر وأصغر، ولكنهم اتفقوا على أنه (الردّة) تعني أمراً واحداً، واختار (سيد قطب) تجاوز الاثنين وعنه تكفير المسلمين جميعاً أفرادهم وجماعاتهم حكّامهم ومحكوميهم بلفظ واحد لا يحيد عنه أبداً: (هو الردّة) أي: الخروج من الملّة و(النقوض عن دين الله بصدّه كان واقفاً)، (ولو توجّهوا إلى الله في ألوهيته وحده ودانوا لشرع الله في الوضوء والصلاة والصوم وسائر الشعائر)، ولو (تسمّوا بأسماء المسلمين وزعموا أنهم مسلمون)، ولو (ردّدوا على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله)، وجعل من أسباب حكمه الجائر المخالف لشرع الله وفقه جميع أئمة المسلمين: (اتباع البشر في نظام الحياة والتقاليد والعادات والأعياد والأزياء والأخلاق)، ولعلّ منبر الفضائيات قد قرأ وأقرأ الشباب لهذه النصوص مرار لا تحصى (بعين الرضا وبعين التعصّب) فلم يرَ فرقاً (تكفيراً) لفرد ولا لمجموعة تنتمي إلى الإسلام.
١) ولكني أطلب منه (وعند كل قارئ) أن يعيد قراءة (بعين العدل) في (معالم في الطريق) ص ١٠١ - ١٠٢، وفي (العدالة الاجتماعية) بعد محاولة تعديلاً ص ١٨٥ و ٢١٦، وفي (ظلال القرآن) ص ١٠٥٧ و ١٤٩٤ و ٢٠٠٩ و ٢٠٢٢ و ٢١١٤ و ٢١٢٢، ولهذه أمثلة وغيرها كثير.
٢) ومحمد قطب يقوم بنشر هذا التكفير (والحكم بالخروج من الملّة لكلّ

بشر منذ موت أخيه سيد قبل أربعة سنة مصراً على رفضه تغيير كلمة منه، مع أنه سيد عندما أدرك قليلاً من أخطائه (دعوى التخيل في كلمات الله) وعد بإعادة (النظر فيه في الطبعة القادمة) ولم يفعل.

٢) والمودودي يختار (هدم القصور) على (هدم القبور) رداً على من طلب منه التحذير من أوثان المزارات والمشاهد والمقامات في الباكستان وما جاورها (من أتباعه في القارة الهندية).

٤) وهل يجوز لمنير (أنار الله قلوبهم جميعاً بنور منهج النبوة وأعاذهم من ظلمات المناهج المنحرفة المستقيم) هل يجوز له وأمثاله من الحزبية أن يتقصوا رموزهم فيصفوهم بالاعتدال والبراءة من التطرف بقبول هذا؟

ز- يتساءل منير - في دفاعه عن حزبه -: (ما هي الأحزاب الفكرية والعقائدية التي وصلت إلى السلطة في وطننا العربي والإسلامي لنرى لها البديل عن الحركات الإسلامية)؟ ويخطئ مرتين أو ثلاثاً فيه

١) من قال له بأنه ما يسمّيه الحزب العقائدي أو الحزب الإسلامي أو الحركة الإسلامية يجب أو يجوز أن يكون هدفه أي منها (الوصول إلى السلطة)؟ نعم، هذا هو واقع حزب الإخوان (أو الجماعة الإسلامية أو حماس أو جمعية المركز الإسلامي) وواقع حزب التحرير وحزب الجهاد ... الخ، ولكنه انحراف عن شرع الله، فليس في الكتاب ولا في السنة أنه الله خلق عباده أو أرسل رسله للوصول إلى السلطة، بل ليعبد الله وحده ولا يعبد غيره، ولتكون كلمة الله الله هي العليا، ولتكون الدين كله لله، تكون الولاية ويكون التمكين تبعاً لذلك.
وسليمان الضحيان لم يصف نفسه بالإسلامي، ولا يطالب الإسلاميين بالنجاح في الوصول إلى السلطة ولكنه ينهاهم عن المحاولة وكأن هاجس الفشل، كما أن الله نهى شارب الخمر أن يقرب الصلاة، وفي الحديث الصحيح نهى آكل الثوم والبصل أن يقرب المسجد، والمقصود بالنهي في الحالتين ليس الصلاة، بل ما يفسدها أو يؤذي المصلين.

٣) الأحزاب والجماعات والحركات والطرق والطوائف والفرق التي تحاول ركوب الإسلام لأغراض الدنيوية: سلطة أو جاهاً أو مالاً، لا تكون (بتقصدها وخروجها عن الجماعة وخروجها عن منهج النبوة إلى منهج مؤسس الحزب أو مفكره) لا تكون أهلاً (شرعاً) للوصول إلى السلطة ولو وصلت إليها (قدراً وفتنة).

٢) لو ألقى منير سمعه وهو شهيد، ولو أعتق نفسه مما أوجب الله عليه الانعتاق من قيوده وحدوده الحزبية ومن عصبيته الجاهلية، ولو استرد قلبه من عبودية الفكر الحزبي وبيعته المبتدعة؛ لوجد جواب سؤاله أمامه في البلد والدولة المباركة التي عودها الله الإحسان وتعودت منه غيرها الجود؛ منذ عشرات السنين وهو يعيش في ظل حزب التوحيد والسنة الواحد الذي أظهره الله ثلاث مرات في ثلاثة قرون يجدد الله به الدين في كل مرة ويصحح به المعتقد وينشر السنة ويمحو الشرك وما دونه من البدع في الدين، وهو وحده

بعد القرون المفضلة -

(بفضل الله) الذي أسّس منه أول يوم على منهاج النبوة في الدعوة إليه والصبر على الأذى فيه مع الدفاع عنه والجهاد في سبيله باللسان ثم بالسنان، ولم يسمِّ نفسه حزباً ولا حركة، ولا اتخذ منهاجاً غير الكتاب والسنة، ولا انتمى إلى بشر غير محمد صلى الله عليه وسلم المعصوم من ربه، ولا وصف نفسه بالإسلامي ولا الإسلامية (إذ الأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميزه، إنما الذي يحتاج إلى اسم [أو وصف] مميز هو الخارج عن هذا الأصل من تلك الجماعات [والفرق والأحزاب] التي انشقت من الأصل: جماعة المسلمين)، (المبحث السادس من حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات والأحزاب للشيخ د. بكر أبو زيد شفاه الله ونصره ومنهاج النبوة) ، ومنّ الله وحده في هذا العصر بالولاية على الكثير أصله الله قادة وبركة، حيث فشلت الفرق والأحزاب الإسلامية المبتدعة بكل المصايب والهوانية رغم دعاياتها وتلوّنها، وتبدّل مبادئها ومواقفها، وتنازلاتها وتفانيها في محاولات الوصول إلى السلطة والجاه والمال.

ح- فشل حزب الإخوانية المسلمية الأشنع والأسوأ هو فشل في النية بتجنيب قادة ومنهاج اتباع سيد المرسلين (مثلهم في ذلك مثل الأحزاب والفرق التي انشقت عنه) وهو ما لم يذكره سليمانه ولا صنيره، وكانه الأولى بالاهتمام، ولكنه حزب الإخوانية (وما تسلسل عنه) فشل فشلاً ذريعاً في تحقيق أهداف الدنيوية (الغايات لا الوسائل) حيث نجم منه خالفوه:

١) ركبوا شعار جلاء الانكليز عن مصر، فنجح جمال عبد الناصر وفشلوا.

٢) ركبوا شعار استعادة قناة السويس من استغلال الأوربيين، فنجح جمال عبد الناصر وفشلوا.

٣) ركبوا شعار تحرير فلسطين، فنجح أنور السادات في تحرير سيناء بالسلاح ثم بالمفاوضات وفشلوا.

٤) ركبوا شعار جرد قوات التحالف الغربي (نصراً لظلم وأوثانه البعث العراقي) متسلحين بخرافات (هرمجدون) و(نوستراداموس) و(الخضر) والتحليلات والإشاعات الخيالية، فنجح الخليجيون، وأزال الله طغيانه البعث العراقي وقادته ومؤيديه عن الخليج ثم عن العراق وفشلوا.

٥) ركبوا شعار تحرير سوريا من البعث السوري (مستعينين بالبعث العراقي بزعيمه الفكري ميشيل عفلق وزعيمه الفعلي وهو الأشرّ صدام حسين) واختاروا اسم الدولة الحزبية القادمة وأشعلوا الأراضي في العراق ومراكز التدريب وصدرت البلاغات وسمّي وزراء الحكومة الحزبية القادمة، فنجح حافظ الأسد وفشلوا.

اللهم اهدهم صراطك المستقيم وجميع المسلمين والضالين عن سبيلك